



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرأيا
عليكم يا صابغين

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

تحت إشراف لجنة جديدة للتأليف

٥

الحج

موسم عبادي وملتقى سياسي

تأليف

الفضيلة المحقق جعفر السبحاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحج موسم عبادى و ملتقى سياسى

كاتب:

جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

وزاره الثقافه و الارشاد الاسلامى

رقمى الناشر:

مركز القائمىة باصفهان للتحريات الكمبيوترىة

الفهرس

٥	الفهرس
٦	الحج موسم عبادى و ملتقى سياسى
٦	اشاره
٦	قراءه التاريخ من جديد
١٠	الحج والصحوه الإسلاميه الراهنه
١٤	١- الحج ووحده المسلمين وبقاظهم
٢١	٢- اعلان البراءه والجدال فى الحج
٢١	اشاره
٢٤	المعنى الأول
٢٦	المعنى الثانى
٢٩	المعنى الثالث
٤١	٣- ماذا يهدف إليه الحج؟
٤١	اشاره
٤٧	١. مشاهده المنافع فى الحج
٤٨	٢. الحج وصلته بالجهاد
٥٥	٤. البراءه عن المشركين
٦٠	٤- أبعاد الحج الاجتماعيه والسياسيه فى السنه
٦٩	٥- أبعاد الحج الاجتماعيه والسياسيه فى سيرهاالسلف
٧٧	٦- أبعاد الحج السياسيه والاجتماعيه فى كلمات العلماء
٨٤	تعريف مركز

الحج موسم عبادى و ملتقى سياسى

اشاره

لحج موسم عبادى و ملتقى سياسى

جلد: ۱ مقرر: سبحانى تبريزى، جعفر

ناشر: نشر مشعر

محل نشر: تهران

سال نشر: -

ص: ۱

قراءه التاريخ من جديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التاريخ صحيفه كبيره مفتوحه أمام صحيفه المستقبل المطويّه، ولكن بإمكان الباحث المتتبع أن يفتح القسم المطويّ انطلاّقاً من القسم المفتوح، فيحدّد معالم مسيره المستقبل على ضوء الماضي، كى يعتبر بها و يتّخذها نبراساً مضيئاً للحياه.

غير أنّ هذه المسيره ليست معبّده، بل لا تخلو من موانع وعراقيل تحول بين الباحث والوصول إلى الحقيقه، وما ذلك إلا لأنّ التاريخ لم يدوّن بقلم نزيه عن الدسّ والوضع، بعيداً عن الأعراض والمصالح الشخصيه والفتويه، وبعيداً عن التزوّف إلى أصحاب السلطه والشوكه.

وآيه ذلك أنّ الإمام محمد بن جرير الطبرى (٢٢٨-٣١٠) أحد كبار المؤرخين فى القرن الثالث قد اعتمد فى سرد وقائع تاريخ الخلفاء على روايات يرويها عن:

١. السرى.

٢. شعيب بن إبراهيم الأسدى الكوفى.

٣. سيف بن عمر التميمى الكوفى.

فالأول منهم مشترك بين اثنين عرفا بالكذب والوضع.

والثانى مجهول لا يعرف حاله.

ص: ٢

والثالث عرّفه أئمة الجرح والتعديل بأنه ضعيف، متروك، ساقط، وضاع، متهم بالزندقة. فما شأن تاريخ يرويه وضاع، عن مجهول، عن متهم بالزندقة ويا للأسف فقد نقل شيخ التاريخ، الطبرى عنهم سبع مائه روايه، و روايه واحده، استغرقت بيان حوادث ١١-٣٧ من الهجره فحسبها المتأخرون حقائق فاستندوا إليها فى كتبهم و رسائلهم دون تمحيص أو تدقيق.

والتاريخ يعجّ بهذه الموضوعات والمكذوبات على لسان وصلحاء الأئمة، يقف عليها منه سبر التاريخ بتجرّد وموضوعيّة، فكم من صالح بخس التاريخ حقّه، وأتهمه بالزيغ والضلال، وكم من طالح سفك دماء الأبرياء والأتقياء ألبسه التايخ ثوبَ الزهد والتقى.

من هنا تتأكد المسؤوليه فى إعادة قراءه التاريخ على ضوء القواعد العلميه المتفق عليها، بعيداً عن النزوع إلى العواطف والأهواء والآراء المسبقه، بغيه فرز الحقائق عن الأوهام، وهذا ما نعبر عنه بقراءه التاريخ من جديد، وهذا ما نقترحه، آملين أن يقيض الله رجالاً أحراراً لا يبتغون غير الحقيقه هدفاً.

وأخيراً، ولأجل أن تقترن المدعوه بالعمل نقدم إلى القراء الكرام سلسله من البحوث التاريخيه لتكون نموذجاً لما دعونا إليه، وليس ما قمنا به إلا خطوه متواضعه فى هذا السبيل.

والله هو الهادى

جعفر السبحانى

مؤسسه الإمام الصادق (عليه السلام)

الحج والصحوة الإسلامية الراهنة

الحمد لله الذى فرض الحج على عباده، إظهاراً لجلاله وكبريائه، وعلو شأنه، وعظم سلطانه، وجعل بيته للعائدين حرماً، وللعاكفين قبله، وللإسلام علماً، ونسبه إلى نفسه تشریفاً، فقال: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا.... وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ».

إن الحج من أعظم شعائر الإسلام وأفضل ما يتقرب به المسلم إلى الله سبحانه، وفيه الوفاة إليه من كل ما اقترف

العبد من ذنوب، مستأنفاً لما يستقبل، مع ما فيه من صرف الأموال وتعب الأبدان والخروج عن الأهل والولد، وترك اللذات والشهوات وتحمل مقاساه الأهوال، شاخصاً في الحرد والبرد، ثابتاً على ذلك مع الخضوع والاستكانة والتذلل.

وقد وصف سبحانه تارك الحجِّ ومسوّفه بالكفر لأنه قد أصبح بإيثاره للأُمور الدنيوية على الفريضة الإلهية، ممن يجحد النعمة ولا يشكرها، وهذا بمثابة الكفر بمغديها سبحانه.

وهذا إن دلّ على شىء فإنّما يدلّ على أنّ الحجّ من الأهميه فى الإسلام ليس لغيره من الفرائض إلى حدّ يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «ما زال الدين قائماً ما قامت الكعبة»^(١). وفى حديث آخر عنه «إنّ الناس لو تركوا حجّ هذا

١- الوسائل: ٨، الباب ٤ من أبواب وجوب الحجّ والعمرة، الحديث ٥.

البيت لنزل بهم العذاب ومانظروا»^(١). إنَّ للحجَّ أسراراً لا- يسع الباحث إحصاءها، ولا الاحاطه بها، وقد أشار المحققون من علمائنا إلى جوانب من أسرارها، والذي يهمننا في مقام هو أنَّ الحجَّ أصبح في عصرنا الحاضر أشبه بعباده فرديه ليس لها من المعطيات الاجتماعيه إلَّا شيئاً يسيراً لا يُذكر. فأكثر الناس يقتصر همهم على إنجاز الفرائض على وجه دون أن يُعيروا أهميه لأبعاده الاجتماعيه والسياسه التي ظلت طى الخفاء طوال سنين عديده.

إنَّ الصحوه الإسلاميه التي عمت أرجاء واسعه من العالم تدفع بأئمه المسلمين إلى التفكير ملياً في أبعاد الحجَّ الاجتماعيه والسياسيه بغيه توظيفها لصالح قضايا الإسلام المصريه.

وانطلاقاً من ذلك فقد وضعنا هذه الرساله وكرّسنا

١- الوسائل: ٨، الباب ٤ من أبواب وجوب الحجَّ والعمره، الحديث ٨.

البحث فيها على أبعاد الحجّ الاجتماعي والسياسي في الذكر الحكيم أولاً والسنة الشريفه ثانياً وكلمات العلماء ثالثاً عسى أن يبعث الله رجالاً أحراراً ذوى أفئذه وعقول نيره يجبرون ما فات من خلال عقد مؤتمرات يتدارسون خلالها الأوضاع المزريه للمسلمين، ووضع أفضل السبل والحلول وعلاجها، بإذن منه

سبحانه المؤلف الحج موسم عبادى و ملتقى سياسى،

١- الحج ووحده المسلمين وبقاظهم

جعل الله الكعبه البيت الحرام قياماً للناس وجعل الحج موسمًا للعباده، وفرصه لالتقاء المسلمين الوافدين من كل صقع وصوب ليتعارفوا، ولتعرّفوا على معالم دينهم ويطلعوا على أحوالهم، فهذا هو- بعد العباده- من أظهر مصاديق قوله تعالى: (وَلْيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ)، وأى منفعه- بعد العباده- أكبر من أن يلتقى الإخوه فى الله فى نقطه واحده بعيداً عن جميع الاعتبارات الشخصيه والاجتماعيه والحواجز القوميه، والإقليميه والعرقيه يُخَيِّم عليهم ظلال الدين، وتغمرهم مشاعر المحبّه والمودّه، وتجمعهم روح

الاخوه الصادقه الصافيه؟

وأى مسأله أهم من أن يتعرّف المسلمون على الأخطار والمشاكل المحدقه بهم، ويتدارسوا حلولها المناسبه ويعملوا معاً و بيد واحده، وعزيمه متضافره لإزالتها، أو يخفّفوا من وطأتها وثقلها عن كواهلهم.

وأى مشكله هى أكثر ضغطاً على المسلمين اليوم من مشكله الاستكبار المتشكّل بأشكال مختلفه الذى يحتلّ بلاد المسلمين عسكرياً، أو يسيطر عليها سياسياً، أو يغزوها ثقافياً، وينهب ثروات المسلمين، ويثير الفتن بينهم، ويقتل أبناءهم، ويُفسد شبابهم، و

....

أليس «الحجّ» خير مكان لإعلان الاستياء الإسلامى العام من هذا الاستكبار الخبيث البغيض وفى طليعته أمريكا وأذناها.

وإذا كان المسلمون المظلومون، المضطهدون فى بلادهم لا يستطيعون الإعلان عن استيائهم وغضبهم على المستعمرين فى عقر ديارهم، لوجود حكومات عميله تخنق

الأصوات وتُكَمِّم الأفواه، أفلا- يكون الحجّ أفضل فرصه وأحسن مكاناً لإعلان هذا الاستياء والغضب جنباً إلى جنب مع كافّة الإخوه المسلمين إلى جانب العباده والخضوع والتضرّع والإنابه؟

أليس رفض الطواغيت الذى يعتبر الخضوع لحكمها، والسير فى ركابها، والركون إليها من مصاديق «الشرك فى الطاعه» من أبرز مظاهر التوحيد الذى جعل الله الحجّ تجسيداً له، وتحقيقاً لحقيقته؟

ولقد أدرك المسلمون اليوم هذه الحقيقه، ومع تنامى الحركة الإسلاميه وتساعد الصحوه الإسلاميه أدركوا أنّ الحجّ هو المكان المناسب والفرصه المناسبه لتوحيد صفوف المسلمين، وإيقاظهم، وإيقافهم على حقيقه الأحداث المأساويه التى يقف وراءها أعداء الإسلام: أمريكا وإسرائيل وبريطانيا وغيرهم من قوى الاستكبار والاستعمار.

لقد أدركوا أنّ الحجّ خير فرصه لإعلان الاستياء

الإسلامى العام من الاستعمار البغيض جنبا إلى جنب مع العباده والإنابه امثالا لقوله تعالى: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ... الذى يشير (١) إلى فلسفه الحجّ المزدوجه: العباده والسياسيه وجانبه الدينوى والأخروى.

ولكن مع الأسف نجد بعض من يدعى العلم، ويتصدّر مقام الدعوه إلى الإسلام يخالف بشده هذه الحركه المباركه وهذه الخطوه العظيمه المؤثره التى لا تهدف إلّا إنقاذ المحرومين والمظلومين، وشجب الاستعمار والاستعباد، وهو يسمع باستمرار أخبار المذابح والمجازر التى تودى بحياه الكثير من أبناء الأُمّه الإسلاميه كلّ يوم وبسبب مباشر من كيد الاستعمار فى فلسطين ولبنان وأفغانستان وارتيريا، والبوسنه والهرسك وغيرها.

هذا البعض بدل أن يضمّ صوته إلى أصوات بقيه المسلمين المستنكره لأعمال الاستعمار، الشاجبه لجرائمهم بحق الإسلام والمسلمين، نجده يضمّ صوته إلى أصوات

الدوائر الاستعماريه ويهزج في أبواقه الإعلاميه ضدّ المسلمين، ويستنكر غضبهم على الاستعمار المتمثل اليوم في أمريكا وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا الملطّخه أيديهم بدماء المسلمين المبتيه قصورهم على جماجم أبناء الإسلام.

وأعجب من كلّ هذا تمسيكه لتحريم هذه الخطوه المباركه بقوله تعالى: (لَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) الذي لا علاقه له بهذه المسأله أصلاً.

ذلكم هو الشيخ عبد الله الخياط إمام وخطيب المسجد الحرام الذي اعتبر طرح مشاكل المسلمين السياسيه في موسم الحج خروجاً عن مفاهيم الحج، واستدلّ لذلك بقول الله تعالى: (... فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ (...)). (١) وقال: وكما أرادها الرسول في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«من حج ولم

يرفث ولم يفسق عاد كيوم ولدته أمه».

أمّا دعوه إيران الخميني التي يريد أن يحوّل الحجّ إلى شعارات سياسيّه، وإلى مظاهرات دعائيّه، وإلى ممارسات فوضويّه، فهي مرفوضه شكلاً ومضموناً لأنّها تتنافى مع تعاليم ديننا الحنيف، وتخرج عن مفاهيمه ومبادئه السمحه، ولأنّها تقوّض ركناً من أركانه، ففيها انتهاك لحرّمات الله، واجتراء على شعائر الله، وخروج على النهج الذي رسمه الله.

إنّ دعوه إيران الخميني تثير الفتنه وتشتتّ الشمل وتحوّل المحيّه إلى أحقاد، وتحوّل المشاعر المقدّسه إلى ساحات لرفع الشعارات السياسيّه، ونشر الدعوات المشبوهه، فما من مسلم على وجه الأرض إلّا ويرفض هذه الدعوه ويستنكرها، لأنّ فيها خروجاً على الإسلام وانتهاكاً لشعائره.

والحجّ لا يمكن أن يكون إلاملتقى روحياً ومؤتمراً سنوياً يجتمع فيه المسلمون الوافدون من كلّ فجّ عميق. (١)

إنّ ما ورد في هذا الخطبه من العبارات والكلمات هي التي نسمعها من الخطباء في كلّ عام، فهم لا يتجاوزون عن تلاوه نفس الآيه، وإتباعها بما سمعت من هذا الخطيب من الكلمات والعبارات الجوفاء.

ونحن - هنا - لا نقابل الشيخ إلّا بما أمرنا به سبحانه في قوله:

(وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) فنشرح معنى الآيه ونوضحها حتّى يظهر المراد منها، ويعلم الجميع أنّ المظاهرات السياسيه وإعلان البراءه من الكفّار وشجب أعمالهم المعاديه للإسلام والمسلمين، ودعوه المسلمين إلى الوحده التي هي روح تلك المظاهرات التي أمر بها الإمام الخميني، ليست مصداقاً للجدال الوارد في الآيه.

الحج موسم عبادى و ملتقى سياسى،

٢- اعلان البراءة والجدال في الحج

اشاره

يقول سبحانه: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ). (١) وإليك تفسير الآيه وإيضاح مفهومها.

١. إن تكرار لفظ «الحج» في الآيه ثلاث مرّات مضافاً إلى أنّه من قبيل وضع الظاهر موضع المضمّر، فيه لطف الإيجاز، فإنّ المراد بالحجّ الأوّل: زمان الحجّ، وبالحجّ الثانی: نفس العمل، وبالثلث:

زمان الحجّ ومكانه، ولولا الإظهار لم يكن بدّ من إطناب غير لازم.

قال صاحب تفسير المنار:

«إِنَّ مِنْ بَلَاغِهِ الْإِبْجَازَ فِي الْآيَةِ التَّصْرِيحَ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ بِذِكْرِ الْحَجِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، الْمُرَادُ بِأَوَّلِهَا: زَمَانُ الْحَجِّ، وَبِالثَّانِي: الْحَجُّ نَفْسَهُ الْمُسَمَّى بِالنَّسْكِ، وَبِالثَّالِثِ: مَا يَعْمُ زَمَانُ أَدَائِهِ وَمَكَانُهُ وَهُوَ أَرْضُ الْحَرَمِ وَمَا يَتَّبِعُهَا كَعَرَفَاتٍ». [٢\(١\)](#). الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ) أَيْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ بِالشَّرْعِ فِي الْحَجِّ بِالتِّيهِ قَصْداً بَاطِناً وَالْإِحْرَامَ فِعْلاً ظَاهِراً، وَبِالتَّبْيِيهِ نَطْقاً مَسْمُوعاً. [٣\(٢\)](#). الْمَشْهُورُ أَنَّ الرَّفْثَ هُوَ الْجَمَاعُ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو طَاوُوسٍ وَعَطَاءٍ وَغَيْرِهِمُ الرَّفْثُ، الْإِفْحَاشُ لِلْمَرْأَةِ بِالْكَلامِ [٣\(٣\)](#) أَوْ مَطْلُوقِ الْفَحْشِ [٤\(٤\)](#) وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

٤. وَفَسَّرَ الْفَسُوقَ بِجَمِيعِ الْمَعَاصِي كُلِّهَا، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَمالِكٌ:

الْفَسُوقُ الذَّبْحُ لِلْأَصْنَامِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ:

١- تَفْسِيرُ الْمَنَارِ: ٢/ ٢٢٨.

٢- تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ: ٢/ ٤٠٦.

٣- الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ.

٤- تَفْسِيرُ الْكِشَافِ لِلزَّمْخَشَرِيِّ: ١/ ٢٦٤.

الفسوق التنازير بالألقاب، وقال ابن عمر: الفسوق السباب، والقول الأول هو الأصح، لأنه يتناول جميع الأقوال.

وقد روى عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

«مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» و«الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جِزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ. (٥)

٥. والجدال في اللغة هو المنازعة والمشاجرة والمخاصمة.

يقال: جدلت الحبل فتلته، والجديل زمام البعير.

وسميت المخاصمة مجادله لأنَّ كلَّ واحد من الخصمين يروم أن يقتل صاحبه عن رأيه.

والمهم في المقام هو تفسير قوله تعالى: (ولا جدال في الحج) وتعيين المقصود منه، وقد اتخذ المخالف دليلاً على حرمه المظاهرات وإلقاء الخطب السياسي، والمناشدة الجماعية وإظهار البراءة من الكفار والمنافقين.

ولا يتبين مقدار دلالة الآية على ما يرتثيه هؤلاء إلا بنقل

جميع الاحتمالات التي ذكرها الكبار من المفسرين وإليك بيانها:

المعنى الأول

ما ذكره القاضي البيضاوي ومال إليه الرازي (١) من حمل قوله سبحانه: (لا- رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) على الخبر، ومعناه أنّ الحجّ لا- يثبت مع واحده من هذه الخلال بل يفسد، لأنّه كالضدّ لها، وهي مانعه من صحّته، وعلى ذلك يجب أن يحمل الألفاظ الثلاثة على أعمال تفسد الحجّ، وتوجب القضاء من قابل إذا كان واجباً، فيفسّر «الرفث» بالجماع، و«الفسوق» بالزنا، لأنّه مفسده، ويحمل الجدال على خصوص الشكّ في الحجّ ووجوبه وصحّته تشريعه وكونه عملاً موافقاً للعقل.

والحاصل: إنّ الظاهر هو حصول المضاذه بين هذه الأشياء والحجّ الذي أمر الله تعالى به ابتداءً.

وعلى ذلك ... فكما لا يمكن الأخذ بمطلق «الفسوق»

١- مفاتيح الغيب: ١٧٥ / ٢ ونقله عن القاضي أيضاً.

إذ ليس كلّ فسوق مفسداً كالكذب والغيبه لا يمكن الأخذ بمطلق «الجدال» إذ ليس كلّ جدال مفسداً غير مجامع مع الحجّ بل جدالاً خاصاً غير مجامع معه كالشكّ في وجوبه وصحّته تشريعه، والقول بلغويه الطواف على الحجر والتراب والأخشاب.

وهذا المعنى الذى اختاره القاضى وجنح إليه الرازى فى تفسيره هو المختار لكثير من الفقهاء فى بعض التراكيب مثل قوله: «لا صلاه إلّا بفتح الكتاب» أو «لا صلاه إلّا بطهور» و المقصود نفي الصحّه بدونهما، وأنّ حقيقتهما تتقوّم بهما، كما أنّ المقصود من الآيه أيضاً نفي صحّحه الحجّ مع أحد هذه الأمور الثلاثة.

فلو صحّ ذلك الاحتمال، فلا يصحّ الاستدلال معه على ما يرتئيه هؤلاء من حرمة مطلق الجدال، ومنه المظاهرات، إذ الآيه بصدد بيان حرمة الجدال الذى لا يجتمع مع صحّحه الحجّ، وليس بصدد بيان حرمة كلّ جدال وإن جامع مع صحّته.

والمظاهرات على فرض كونها جدالاً (١) حراماً ليست مفسده للحج بالضرورة.

المعنى الثانى

التفريق بين الأمور الثلاثة بحمل الأولين على النهى، وإن كان عدولاً عن ظاهر اللفظ أى: لا ترفثوا ولا تفسقوا، وحمل الثالث على الخير، أى أنه لا جدال ولا خلاف فى وقت الحج ومكانه، وعلى هذا فالمراد: لا جدال ولا خلاف فى وقت الحج ومكانه، وهذا المعنى هو الذى أصر عليه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢) وذكره الزمخشري (٣) واستشهدا عليه بوجهين:

الأول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «من حج لله ولم يرفث ولم يفسق رجع كهيئته يوم ولدته أمه» ولم يقل «ولم يجادل» وفى

١- سيوافيك ان إعلان البراءه ليس من مصاديق الجدال.

٢- تفسير الطبرى: ١٦٢ / ٢.

٣- تفسير الكشاف: ٢٤٦ / ١.

هذا دلالة على أنّ الأولين بمعنى النهى عن الرفث والفسوق، دون الثالث، وإلّا كان عليه عطف الثالث عليهما بصورة النهى، بل هو بمعنى الخبر ونفى من الله جلّ وعزّ عن شهور الحجّ الاختلاف في وقته ومكانه الذي كانت الجاهليه تختلف فيها بينها.

الثانى: إنّ قريشاً كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب بعرفه، وكانوا يقدّمون الحجّ سنه ويؤخّرونه سنه وهو المعروف بـ «النسيء» فردّ إلى وقت واحد، وردّ الوقوف إلى عرفه، فأخبر الله تعالى أنّه قد ارتفع الخلاف في الحجّ، وقد أخبر الله عن النسيء و قال: (إنّما النسيء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً). (١) نعم رجع الحجّ إلى زمانه ومكانه في حجّه الوداع قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض» وقال القرطبي: يعنى رجع أمر الحجّ كما كان، أى عاد

إلى يومه ووقته، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَجَّ: «خذوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ» فَبَيَّنَ بِهَذَا مَوَاقِفَ الْحَجِّ وَمَوَاضِعَهُ. (١) فَلَوْ قَلْنَا بِهَذَا الْوَجْهَ لَمَا كَانَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى صَلَّهِ بِمَا يَرْتِيهِ الْخَطِيبُ الْخِيَاطُ، إِذْ لَيْسَ هُوَ بِمَعْنَى النِّهْيِ حَتَّى يَكُونَ تَكْلِيفًا إِلْزَامِيًّا شَامِلًا لِمَطْلُوقِ الْجِدَالِ، بَلْ هُوَ كَلَامٌ خَبْرِيٌّ، وَالْخَبْرُ حَقِيقَةٌ تَكْوِينِيَّةٌ وَأَنَّ أَمْرَ الْحَجِّ - بَعْدَ عَمَلِ رَسُولِ اللَّهِ وَتَحْدِيدِهِ الْمَوَاقِفَ وَالْمَشَاعِرَ، وَتَثْبِيْتَهُ فِي شَهْرٍ خَاصٍّ - أَصْبَحَ كَالشَّمْسِ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ فَهُوَ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ يَحُومَ حَوْلَهُ الشُّكُّ مِنْ حَيْثُ الزَّمَانُ وَالْمَكَانُ. فَأَيُّ صَلَّهِ لِهَذَا الْكَلَامِ بِحَرَمِهِ الْمَجَادِلَةَ أَوْلَى، وَحَرَمِهِ الْمِظَاهِرَاتِ السِّيَاسِيَّةِ ثَانِيًا، لَوْ قَلْنَا بِأَنَّهَا مِنْ مَصَادِيقِ الْجِدَالِ.

قال ابن جرير:

«وَأَعْجَبُ الْأَقْوَالِ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ - إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْتُ - قِرَاءَهُ مِنْ قِرَاءِ «فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ» بِرَفْعِ الرَّفْتِ وَالْفُسُوقِ وَتَنْوِينِهِمَا، وَفَتْحِ الْجِدَالِ بِغَيْرِ

تنوين، وذلك هو قراءه البصريين وكثير من أهل مکه منهم عبداللّٰه بن كثير، وابن عمرو بن العلاء» (١) وإنما رفع الأوّلان ونصب الثالث حملاً للأولين على معنى النهى كأنه قيل: فلا يكوننّ رفث، ولا فسوق، والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدل كأنه قيل: ولا شكّ ولا خلاف فى الحجّ، أى فى موعده وزمانه.

المعنى الثالث

ما اختاره كثير من المفسّرين هو حمل النفى على النهى والغايه هو النهى عن الأمور الثلاثه، وعندئذٍ يتوهم المستدلّ أنّ ظاهر الآيه هو النهى عن مطلق الجدل ومنه المظاهرات السياسيه.

غير أنّه يجب على المرید للحقيقه وقفه قليله حتّى يتبين أمران:

١. إنّ الجدل ينقسم إلى محرّم ومباح ومندوب، فهل

المنهَى عنه هو مطلق الجدال أو يختصّ بالقسم الأول منه؟ وكونه محرّماً في غير الحجّ يلازم كونه محرّماً فيه أيضاً، بل تكون الحرمه أشدّ.

٢. إنّ المظاهرات السياسيّه، وإلقاء الخطب، وإيقاظ المسلمين عن غفلاتهم، وإظهار البراءه من أعدائهم الشرقيين والغربيين، هل هي من مصاديق الجدال وموارده أو لا صلّه لها بذلك أبداً؟ وإليك بيان الأمرين:

إنّ المراد بالجدال هنا هو المراء الذي يجب الاجتناب عنه في الحجّ وغيره، ولكنّه في الحجّ أولى.

قال الزمخشري:

«ولا- جدال: أى ولا- مراء مع الرفقاءوالخدم والمكارين، وإنّما أمر باجتنب ذلك، وهو واجب الاجتناب فى كلّ حال، لأنّه فى الحجّ اسمج كلبس الحرير فى الصلاه، والتطريب فى قراءه القرآن». (١)

وقال فى المنار:

«الجدال: المرء والخصام، فتكون هذه المناهى كلها آداب لسانيه، ويجب أن يكون المرء فى أوقات العباده والحضور مع الله سبحانه على أكمل الآداب وأفضل الأحوال». (١) قال الجصاص:

«الجدال: المرء، وقال ابن عباس: الجدال أن تجادل صاحبك حتى تغضبه. ثم قال: إنَّ المُحرم منهى عن السباب والمماراه فى أشهر الحجّ وفى غير ذلك وعن الفسوق، وإن كانت محظوره قبل الإحرام، فإنَّ الله نصَّ على حظرها فى الإحرام تعظيماً لحرمه الإحرام، ولأنَّ المعاصى فى حال الإحرام أعظم وأكبر عقاباً فى غيرها منها». (٢) ويوضح ذلك اقتران «الجدال» مع «الفسوق» فهو يكشف عن كون الأمرين من قماش واحد وجنس واحد، فلا

١- تفسير المنار: ٢/ ٢٢٧-٢٢٨.

٢- أحكام القرآن: ١/ ٣٠٨.

يصحّ تعميمه إلى مطلق الجدال المباح أو المندوب في الشريعة.

وفي الشريعة الإسلامية أنواع جدال مباحه بل ومندوبه لا تعمها الآية.

أما المباح منها فهو ما ورد في قوله سبحانه:

(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ). (١) فلو حدث مثل هذا الأمر في الحج لم يكن محرماً لا من المتكلم ولا من المستمع.

ويدلّ على أنّ المراد من الجدال هو الجدال الممنوع والمرء اللانزم الاجتناب، أنّهم فسّروا الجدال في الآية بأُمور لا تخرج جميعها عن الجدال والمرء الممنوع.

قال الرازي: «ذكر المفسرون وجوهاً في هذا المجال:

١. هو الجدال الذى يخاف منه الخروج إلى السباب والتكذيب والتجهيل.

٢. قال محمد بن كعب القرظى: إن قريشاً كانوا إذا اجتمعوا بمنى قال بعضهم: حجنا أتم، وقال آخرون: بل حجنا أتم، فنهاهم الله تعالى عن ذلك.

٣. قال مالك فى الموطأ: الجدال فى الحج أن قريشاً كانوا يقفون عند المشعر الحرام فى المزدلفه بقزح وكان غيرهم يقفون بعرفات وكانوا يتجادلون يقول هؤلاء: نحن أصوب، ويقول هؤلاء: نحن أصوب، قال الله تعالى: (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسِيَةً كَأَنَّهم ناسِئُونَ فَلَإِ نُنَازِعُنَّكَ فى الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ* وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) (١) قال مالك: هذا هو الجدال.

٤. قال القاسم بن محمد: الجدال فى الحج أن يقول بعضهم: الحج اليوم، وآخرون: بل غداً، وذلك أنهم أمروا أن

يجعلوا حساب الشهور على رؤيه الأهلّه.

٥. قال القفال: يدخل في هذا النهي ما جادلوا فيه رسول الله حين أمرهم بفسخ الحج إلى عمره فشقّ عليهم ذلك، وقالوا: نروح إلى منى ومذاكيرنا تقطر متياً؟! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى ولجعلتها عمره، وتركوا الجدل حينئذٍ.

٦. قال عبد الرحمن بن زيد: جدالهم في الحج بسبب اختلافهم في أيهم المصيب في الحج لوقت إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

٧. إنهم كانوا مختلفين في السنين فقليل لهم: لا جدال في الحج فإنّ الزمان استدار وعاد إلى ما كان عليه الحج في وقت إبراهيم.

فهذا مجموع ما قاله المفسرون في هذا الباب. (١) فهذه الأمثلة تفيد أنّ المراد من الجدل في الآية هو

الجدال المنهَى عنه سواء أكان منهيّاً عنه بالنهي التحريمي أو النهي التنزيهي الكراهي.

وجاء في «الفرق على المذاهب الأربعة»: ويحرم الخروج عن طاعة الله تعالى بأى فعل محرّم، وإن كان ذلك محرماً في غير الحجّ، إلّا أنّه يتأكّد فيه وتحرم المخاصمه مع الرفقاء والخدم ونحوهم لقوله تعالى: (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) والجدال: المخاصمه. (١) وعلى ذلك فالجدال المباح والمناقشه من غير أن يثير غضب الآخر كالجدال الوارد في قوله سبحانه: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) خارج عن مصب الآيه، فلو كانت المرأه الشاكيه محرّمه، وقد رفعت أمرها إلى النبي وطلبت حقّها من زوجها، لم يُعيّد ذلك من الجدال المحرّم والمرء المنهَى عنه والمخاصمه المبعوضه بل يعدّ طلباً للحق عن طريقه.

روى المفسِّرون أنَّ امرأه من الأنصار بعد ما ظاهر منها زوجها جاءت إلى النبي وقالت: إنَّ زوجي تزوَّجني وأنا شابهه غانيه ذات مال وأهل حتَّى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرَّق أهلي وكبر سنِّي ظاهر منِّي ... إلى آخر ما ذكرته.

فإذا كان الجدل المباح خارجاً عنها فالجدال المندوب أولى بالخروج منه، كيف لا وقد أمر سبحانه نبيّه بالجدال المندوب في كتابه.

فلو طرحت في أثناء الحجّ مسألة فقهيه أو عقائديه أو تفسيريه وعرض كلّ واحد رأيه في المسألة وجادله الآخر بالتى هي أحسن، فلا- يكون ذلك حراماً محظوراً بل هو عمل بقوله: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...). (١) ولو جرى بحث في مخيّمات عرفات حول مسألة فقهيه أو كلاميه فأخذ أحد المسلمين موقفاً خاصاً، ودافع عن

معتقده بالدليل والبرهان من دون إبراز مخاصمه أو لجاج أو عناد فلا شكّ في جواز ذلك، ولا يعدّ ذلك داخلًا في الجدل الوارد في الآية.

هذا ما لدى القوم و أمّا ما عند أهل البيت الذين هم أعدال الكتاب وقرناؤه في لسان النبيّ الأعظم (١) فسرّ الجدل المذكور في الآية بقول الرجل: لا-والله و بلى والله، فإذا حلف بثلاث أيمان متتابعات صادقاً فقد جادل وعليه دم، وإذا حلف بيمين واحده كاذبه فقد جادل وعليه دم. (٢) وأين هذا من تحريم مطلق الجدل الذي يدّعيه القوم؟! وإنّما المحرّم حسب رواياتهم هو الجدل الخاصّ كما عرفت.

١- تواتر عنه صلّى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّ بكنم بهما لن تضلّوا» وقد نشرت دار التقريب بين المذاهب الإسلاميه رساله خاصه في تحقيق اسناده ومتونه.

٢- نور الثقلين: ١/ ١٦٢، ولاحظ كتب الحديث كالوسائل وغيره.

لنفترض أنّ الآيه تعمّ جميع المجادلات المحرّمه فى غير الحجّ والمباحه والمندوبه كافه، غير أنّ المراد هو مجادله الحاج مع الحاج الآخر، أو مجادله الحاج مع من فى الحرم، وأمّا المظاهرات التى تقوم بها جموع الحجّاج المسلمين وإعلان البراءه من الكفّار والغضب من ممارساتهم المعاديه للإسلام والمسلمين، والدعوه إلى الاتحاد والوحده بين المسلمين لمواجهه الأخطار والتحدّيات، فليس شىء من ذلك من الجدال أصلاً، فليس فى ذلك المحتشّد إلّا المسلمون وهم يد واحده وليس فى مقابلهم أحد من الكفّار والمنافقين حتّى يقع الجدال بين الطرفين.

ترى هل يعدّ ما فعله الإمام علىّ عليه السّلام حيث قرأ آيات من سوره البراءه على الكفّار خلال موسم الحجّ بأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم جدالاً؟ أم أنّه إعلان لبراءه الله ورسوله من الكفّار والمشركين، وأى فرق بين المقامين؟!

وإنّ المظاهرات التى يقوم بها المسلمون الحجّاج خلال الحجّ ليس إلّا تجسيداً وتحقيقاً لما جاء فى قول الله تعالى:

(... أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ...) (١) نعم إنَّ السلطه بمنعها المسلمين من إعلان الغضب على الكفار والاستياء من أعمالهم الإيجراميه توجد جواً من الجدال الممنوع، وتمنع المسلمين من أداء واجبهم الإسلامى، وتدفعهم إلى مناقشتهم ومجادلتهم، فتكون السلطات السعوديه هى المجادله وهى سبب الجدال.

فلو أُتيحت الفرصه، لاتفق الحجاج على المشاركه فى هذه التظاهرات الشاجبه لأعمال الكفار وجرائم الملحدين، ولما حدث أى نقاش بينهم، و فى الختام نسال الخياط: أنه يقول فى خطابه أن الحج مؤتمر سنوى يجتمع فيه المسلمون من كل فج عميق، لو كان الحج على ما زعم فماذا يجب أن يطرح فى هذا المؤتمر من مسائل؟

هل يجب أن تلقى كلمات بسيطه حول كراهه أكل البصل والثوم لمن يريد دخول المسجد، أو غسل الأقدام

والأحذيه من الأ-تربه والعرق كما سمعناه مراراً من خطباء المسجد الحرام فى أيام الحج وجمعاتهم، وكأنه ليست هناك مسأله إسلاميه غير هذا.

فإذا تبين لك أيها القارئ بطلان ما قاله الخياط وبطلان استدلاله، بل عدم علاقه الآيه بالمقام، ينبغى أن نقف معاً على فلسفه الحج الحقيقيه بصوره مفصّله وفى ضوء الآيات القرآنيه والأحاديث الشريفه والوقائع التاريخيه من سيره السلف وإليك ذلك إجمالاً.

٣- ماذا يهدف إليه الحج؟

إشارة

لا شك أن أول ما يهدف إليه الحج وأهم ما تقصده مناسكته هو المزيد من توجيه العبد إلى الله، ودفعه إلى الخضوع له، وتقوية صلواته به سبحانه، وتعميق الإيمان في قلبه، وتكريس الاعتقاد بوحدانيته في ضميره.

والأحرى أن نقول بإيجاز: إن الهدف الأهم من الحج هو العبادة والتعبّد، ابتداءً من الإحرام للعمرة، ومروراً بالطواف بالكعبة المشرفة فالصلاة فالسعى فالتقصير ثم الإحرام ثانيه للحج فالوقوف بعرفة فالإفاضة إلى المزدلفة والوقوف بها، فالذهاب إلى منى والمبيت بها ليالي، فالرمي فالنحر أو الذبح فالحلق فالطواف بالكعبة المعظمه أيضاً، وانتهاءً بالسعى بين

الصفاء والمروه، وما يتخلل كل ذلك، أو يصاحبه من أذكار، وامتناع عن محرّمات خاصّه، قربه إلى الله سبحانه وتعالى.

إنّها العبادة فى أفضل أشكالها.

وإنّها إظهار العبوديه فى أعلى مظاهرها.

وإنّها الخضوع لذى الجلال فى أسمى صورته وأنماطه.

وإنّها التضرّع إلى الله فى أعمق أنواعه.

فالحجّ عباده جامعته تتوفّر فيها كلّ عناصر إظهار العبوديه، وكلّ أشكال الخضوع والطاعة للربّ العظيم الكريم، من انقطاع عن الدنيا، وإعراض عن الشهوات وتضحيه بالمال، وتذلّل وذكور، وتهليل وتسييح وتحميد وتكبير، وتوحيد لله فى الطاعة والانقياد والخضوع والالتماس، والاستعانه والعباده، وخروج عن إطار الرغبات الماديّه، وتناسٍ موقتٍ للمال والولد والأهل والوطن فى سبيل الله، ومن أجل الله، وبأمر الله، وتقرباً إلى الله، وامثالاً لحكم الله، وتنفيذاً

الحج موسم عبادى وملتقى سياسى،

لإِرادته اللهُ، وتلبيتهُ لنداءِ اللهُ وحده لا شريكَ له.

إنَّها عبادته ولا شكَّ، ولكن هل يتلخَّص هدف الحجِّ هذا المنسك العظيم في العبادة المحضه؟

وهل فرض الحجِّ على عامَّة المسلمين رجالاً ونساءً، شيباً وشباناً، ومن كلِّ لون وجنس، ليؤدِّوا أمراً في مجال العلاقة برَبِّهم خاصَّه، دون أن يكون لهذا الواجب المقدَّس أيُّ مفهوم اجتماعي، وأيُّ ارتباط بحياتهم وشؤونهم؟

وهل أصغر عمل عباديُّ في الإسلام يخلو عن مفهوم اجتماعي، حتَّى يخلو منه هذا المنسك العظيم، وهذه الفريضة الكبرى ذات الأجزاء والعناصر الكثيره، وذات الطابع الاجتماعي - كصلاه الجمعة؟!

إنَّ الآيات القرآنيه، والسنة الشريفه، وسيره السلف، وأقوال العلماء، كلُّها تُجمع على أنَّ هدف الحجِّ لا ينحصر ولا يتلخَّص في كونه مجموعته من المراسم العباديه المحضه وتضرُّع يبيديه العبد بحياته الاجتماعيه، شأنه شأن غيره من الفرائض

الإسلاميه كالصلاه والصيام والزكاه والجهاد وغيرها التي لا تشتمل على الأمور التعبديه فقط، بل تنطوى على أهداف اجتماعيه وآثار سياسيه فى حياه المسلمين، أفراداً وشعوباً.

وهو أمر يؤيده العقل السليم ويؤكدّه المنطق المستقيم.

إنّ الإسلام دين شامل أى أنه نظام عبادى وسياسى واقتصادى واجتماعى، وأنه على العكس من اليهوديه والنصرانيه الحاضره والمبادئ البشريه الوضعيه، ليس إلّا مجموعه متناسقه من المعتقدات والقوانين والأخلاق فى شتى حقول الحياه، بل و كلّ جزء من هذا الدين هو الآخر خليط مدروس، ومزيج محسوب من الأبعاد المختلفه، وتركيب متوازن من الفرد والجماعه، والعباده والسياسه والاقتصاد والصحه، والدنيا والآخره.

بل العباده فى منطق هذا الدين يتسع نطاقها حتى تشمل الحياه كلها وتعمّ جميع الأعمال البشريه إذا كانت لأجل الله، فلا تقتصر على الشعائر التعبديه المعروفه من

صلاه وزكاه وحجّ، إنّها تشمل كلّ عمل ترتقى به الحياهويسعد به الناس.

ولهذا قال النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذر:

«ليكن لك في كلّ شيء صالحه حتّى في النوم». (١) فالحجّ كما نكتشف ذلك من الكتاب والسنة وسيره السلف وأقوال العلماء المحقّقين لا يتلخّص في كونه موسماً عبادياً- بالمفهوم المألوف عند كثيرين- بل هو إلى جانب ذلك مؤتمر سياسيّ عالميّ وملتقى اجتماعيّ عامّ يوفّر للمسلمين القادمين من شتّى أنحاء المعموره فرصه التعارف والتآلف واللقاء والانتفاع بعضهم ببعض، ومداوله أمورهم، وحلّ مشاكلهم السياسيه والاجتماعيه والاقتصاديّه في جوّ من الأمن والقداسه والصفاء والمحبه.

وهذا هو ما نبتغي استعراضه والتدليل عليه في هذه الصفحات القلائل مع الاعتراف بأنّ هذه المسأله ودراسه

١- مدينه البلاغه في خطب النبيّ وكتبه ومواعظه: ١/ ٤٦٩.

أبعاد الحجّ العباديه والسياسيه والاجتماعيه أوسع بكثير من أن تستوعبها هذه الدرّاسه الموجزه، ولهذا نأمل أن يكون ما جاء في هذا الفصل مجرد دليل لا أكثر، وعلى المسلمين عامّه، والحجّاج خاصّه أن يحاولوا- بأنفسهم- التعرّف على المزيد من الحقائق في هذا المجال وذلك بالتدبّر في هذه الفريضه ومناسكها، والتأمّل في الآيات والأحاديث الشريفه في هذا الصعيد.

١. مشاهدته المنافع فى الحج

٤ أبعاد الحج الاجتماعيه والسياسيه فى القرآن

لقد وصف القرآن الكريم «الحج» فى عدّه مواضع بأنّ فيه ما ينفع الناس ويضمن مصالحهم، إذ قال تبارك وتعالى:

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ * ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعِظْكُمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ

فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَيِّحِيْقٍ * ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ. (١)

١. مشاهدته المنافع فى الحج

والملاحظ فى الآيه الثانيه من الآيات أمورٌ ثلاثه:

أولاً: جعل المنافع إلى جنب ذكر الله وفى مقابله وهو يوحى بأن الحج ذو بُعدين:

أحدهما عبادى ويتجسد فى ذكر الله، والآخر غير عبادى بالمعنى المصطلح المؤلف ويتمثل فى المنافع.

ثانياً: تقديم «المنافع» على «ذكر الله» الذى يمثل الجانب العبادى.

ثالثاً: جعل المنافع مطلقه غير مقيدته، فلم يقل سبحانه: منافع اقتصاديه، ممّا يوحى بأن هذه المنافع تشمل المنافع الاقتصاديه والسياسيه والاجتماعيه، وغيرها.

٢. الحج وصلته بالجهاد

قال الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الأسبق في تفسير الآيه:

«فالمنافع التي تجعل الحج سبيلاً لشهودها والحصول عليها- وهي أول ما ذكر في حكمه الحج- عامه مطلقه لم تُقيّد بنوع دون نوع، ولا- ناحيه دون ناحيه، وهي بعمومها وإطلاقها تشمل كل ما ينفع الفرد والجماعه، وتصلح شأنهما، فطهاره النفس والتقرب إلى الله منفعه، والتشاور في رسم خطط العلم والثقافه، وفي جمع الكلمه على تركيز الدعوه، والعمل على إظهار الإسلام وأحكامه الرشيده منفعه، وإعداد العُدَد لنسج خيوط الشخصيه الإسلاميه من التحلل والذوبان منفعه، وهكذا تتعدّد المنافع، وتنوّع على حسب مقتضيات الأحوال التي توحى بها الأزمنه ومواقف الناس من الناس». (١) وقال أيضاً: «والحج باعتبار مكانته في الإسلام، وغايته المقصوده منه للفرد والجماعه جدير بأنّه يتّجه إليه

رجال العلم والرأى، ورجال التربيه والثقافه، ورجال النظام والإيداره، ورجال المال والاقتصاد، ورجال الشرع والدين، ورجال الحرب والجهاد.

جدير أن تفد إليه الطبقات ذات الرأى والحزم، ذات النظر والاجتهاد، ذات الإيمان الصادق والأهداف السياسيه التي يجب أن يقصدها المسلمون فى حياتهم، جدير أن يتجه إليه هؤلاء جميعاً فتراهم وقد نشرت مَكّه أجنحتها عليهم، وجمعتهم بكلمه الله حول بيت الله يتعارفون و يتشاورون ويتعاونون ثم يعودون إلى بلادهم أمّه واحده متّحده القلب، متّحده الشعور والإحساس». (١)

٢. الحج وصلته بالجهاد

هذا والجدير بالذكر أنّ آيات الحجّ هذه تستمر حتى تنتهى وتتصل بقوله تعالى:

١- المصدر السابق: ١٥٠.

(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ* أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصِيرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَيَّجَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيُنصِرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصِرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ). (١) وليس من قبيل الصدفة- حاشا القرآن عن ذلك- أن تنتظم الآيات بهذا الشكل دون أن يكون بينها ارتباط.

إنَّ وحده السياق وتوارد هذه الآيات بهذا النحو يشعر بوجود صلة قويّة بين الحجّ والعمل السياسي ولا نريد القول بأن يتحوّل الحجّ إلى ساحه قتال، ولكن أقلّ ما يوحى به السياق هو أن يكون الحجّ مرحلة للإعداد للمواجهه.

إنَّ أقلّ ما يمكن استفادته من هذا النظم والسياق الذي جمع بين آيات الحجّ والجهاد، ومقاومه الظلم والنصر

الإلهى للمظلومين هو أنّ الحجّ خير مكان لتعبئه المسلمين روحياً ونفسياً لمواجهة الظلم والظالمين، ومقارعه الاستكبار والمستكبرين والاستعمار والمستعمرين.

إنّه خير فرصه لأنّ يلوّح المسلمون المجتمعون هناك من كلّ قطر بما لديهم من قوّه وشوكه، ويعلنوا عن موقفهم السياسىّ الموحّد، ويلقّنوا الأعداء درساً لا ينسوه وإن كان هذا لا ينحصر فى الحجّ، فمقارعه الظلم والظالمين والإعلان عن الاستياء ضدّ أعداء الله لا يخضع لحدود الزمان والمكان.

هذا وقد فسّر المفسّرون المنافع بما يعمّ أمور الدنيا والدين، فعن ابن جرير الطبرى بعد نقله أقوالاً فى تفسير المنافع:

«وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك (ليشهدوا منافع لهم) من العمل الذى يرضى الله والتجاره، وذلك أنّ الله عمّ منافع لهم جميع ما يشهد له الموسم، ويأتى له مكّه أيام الموسم من منافع الدنيا

والآخره و لم يخصص شيئاً من منافعهم بخبر ولا عقل فذلك على العموم فى المنافع». (١) ٣. الكعبه و (قياماً للناس)

ثم إن القرآن الكريم يصف الكعبه المشرفه بأنها جعلت قياماً للناس إذ يقول:

(جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ ...). (٢) وقد وردت كلمه «قيام» فى شأن المال أيضاً إذ يقول سبحانه:

(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً ...). (٣) وهذا يوحى بوجه التشابه بين الحجّ والمال، فكما أنّ الاقتصاد والمال يقيم حياه الناس، ويضمن مصالح الأممه

١- تفسير الطبرى: ١٧ / ١٠٨.

٢- المائده: ٩٧.

٣- النساء: ٥.

الإسلاميه فكذلك الحجّ، وهذا يعنى أنّ إطار الحجّ لا يقتصر على العباده والتعبّد والضراعه بل يتّسع حتّى يشمل كلّ ماله ارتباط بمصالح المسلمين ممّا يقيم حياتهم وكيانهم، وأيّ شىء يقيم حياتهم أفضل من العمل السياسى الذى يعنى مقاومه الاستعمار والاستعباد والاستغلال، وتحقيق الاستقلال فى جميع المجالات، وتنبيه المسلمين باستمرار على ما يدور حولهم من مؤامرات وكيد ومكر، ودفعتهم إلى اتّخاذ موقف واحد موّحد يجابه العدو ويصدّ المهاجم.

ثمّ إذا كان المال لا يجوز إعطاؤه للسفهاء الذين لا يعرفون كيف يتصرّفون فيه لعدم رشدهم أو لنقصان عقولهم، فلا يجوز بطريق أولى أن يُترك الحجّ لمن لا يعرفون قيمته ووزنه وأهميته فى حياه الأُمّة الإسلاميه.

وإليك ما قاله بعض المفسّرين فى هذه الآيه: قال ابن جرير الطبرى:

«يقول تعالى ذكره: صبر الله الكعبه البيت الحرام

قواماً للناس الذين لا- قوام لهم من رئيس يحجز قوئهم عن ضعيفهم، ومسيئهم عن محسنهم، وظالمهم عن مظلومهم، وجعلها معالم لدينهم ومصالح أمورهم». (١) وفي تفسير المنار:

«أنه جعلها قياماً للناس في أمر دينهم المهذب لأخلاقهم المزكى لأنفسهم بما فرض عليهم من الحج الذي هو من أعظم أركان الدين لأنه عباده روحية ماله اجتماعية».

وقال أيضاً:

«إن جعل الله تعالى هذه الأشياء- أى مناسك الحج- هو جعل تكويني تشريعي معاً وهو عام شامل لما تقوم به وتتحقق مصالح دينهم وديانهم». (٢)

٤. البراءة عن المشركين

١- تفسير الطبري: ٧ / ٤٩.

٢- تفسير المنار: ٧ / ١١٩.

٤. البراءة عن المشركين

ولو تغاضينا عن كل ذلك هل يمكن أن نتغاضى عن أن سورة «البراءة» التي تعلن عن أوضح موقف سياسى تجاه المشركين نزلت لتتلى فى أيام الحج، وهو عمل سياسى بدون شك.

ولنستمع إلى الذكر الحكيم وهو يقول:

(بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).

(١) وقد أمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام بأن يبلغ هذا

الإندار والنداء إلى المشركين في أيام الحج ففعل الإمام عليّ عليه السّلام ذلك بشهادة كلّ المفسّرين والمؤرّخين والمحدّثين.

نقل الطبري ضمن حديث مسند:

«إذا كان يوم النحر قام عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال:

يا أيّها الناس أمرت بأربع:

١. أن لا يقرب البيت بعد العام مشرك.

٢. ولا يطوف بالبيت عريان.

٣. ولا يدخل الجنّة إلّا نفس مسلمه.

٤. وأن يتمّ إلى كلّ ذى عهد عهده. وفي روايه أخرى: ومن كان له عهد عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فهو إلى مدّته». (١) والحديث مكرّر بأسناد مختلفه ومتعدّده، وتجد مثلها في مسند أحمد وتفسير ابن كثير والدر المنثور في تفسير الآيات وفي سنن التروان شئت قلت: إنّ قوله سبحانه: (براءة من الله ورّسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) وقوله عزّ من

قائل: (وَأَذَانُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) إِنَّ الْبِرَاءَةَ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ لَا تَخْتَصُّ بِمَشْرُكِي قُرَيْشٍ أَوْ مَشْرُكِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَإِنَّمَا الْبِرَاءَةُ فِيهِمَا هَتَافٌ إِلَهِي يَعْمُ الْبِرَاءَةَ مِنْ مَشْرُكِي الْعَالَمِ كُلِّهِ، الْمَوْجُودِينَ فِي عَصْرِ الرِّسَالَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فالذكر الحكيم يُؤدِّبُ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَيُنصِّصُ عَلَى وَظِيفَتِهِمُ الدِّينِيَّةَ وَيُلْزِمُهُمُ بِإِنْشَاءِ الْبِرَاءَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ مِنَ الْمَشْرُكِينَ عَامَّةً، وَعَلَى ذَلِكَ فَلَوْ قَامَ ضِيَوفُ الرَّحْمَنِ كُلَّهُمْ بِالْبِرَاءَةِ مِنَ الْمَلْحَدِينَ وَالْمَشْرُكِينَ - الْمَتَسَلِّطِينَ عَلَى رِقَابِهِمْ - لَأُدُّوا وَاجِبُهُمْ بِشَكْلِ جَمَاعِي.

وربما يتخيل: أَنَّ الْبِرَاءَةَ وَالْإِسْتِنكَارَ الْوَارِدِينَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَخْتَصَّانَ بِعَصْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَتَجَاوَزُ غَيْرَهُ، إِنَّهُ قَوْلٌ بَلَاءٌ دَلِيلٌ، وَهُوَ يُشَبِّهُ بِقَوْلِ الَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَخْضِعُوا رِسَالَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهَدَايَةَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ بِعَصْرِ خَاصٍّ دُونَ غَيْرِهِ.

إنَّ المسلم الحرَّ لا يشكُّ بأنَّ الشيوعيين والملتقيين حولهم أسوأ من المشركين الذين أوجب الوحي الإلهي البراءة منهم. كما لا اعتقد أن يشكَّ المنصف في أنَّ الشيطان الأكبر - أمريكا - أسوأ من المشركين وأضرَّ منهم.

٥ أبعاد الحجّ الاجتماعي والسياسي في السنّه

٤- أبعاد الحجّ الاجتماعي والسياسي في السنّه

إنّ السنّه والسيرها النبويه الشريفه هي الأخرى تشير إلى أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مارس الأعمال السياسيّه في الحجّ، هذا مضافاً إلى أنّ هناك أحاديث تفيد بأنّ الحجّ نوع من الجهاد لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«نعمّ الجهاد الحجّ» (١) وقوله - عليه وآله السلام -:

«الحجّ جهاد» (٢)

١- صحيح البخاري: ٣ / ٢٢١، كتاب الجهاد.

٢- سنن ابن ماجه: ٢ / ٩٦٨ و ٩٩٥، مسند أحمد: ٦ / ٢٩٤ و ٣٠٣.

وقوله - صلوات الله عليه وآله -:

«الحجّ جهاد كلّ ضعيف». (١) وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي جَوَابِ نَسْوِهِ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ:

«جهاد كنّ الحجّ». (٢) وفي بعض الأحاديث قرّن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الحجّ بالجهاد دون بقيه الفرائض، إذ قال: «الغازى فى سبيل الله، والحاج والمعتمر وفند الله دعاهم فأجاه وسألوه فاعطاهم». (٣) وهو يوحى بوجود الصلّه وأوجه التشابه فى الآثار والأهداف بين هاتين الفريضتين.

وإن شئت قلت: إنّ ذلك يوحى بأنّ الحجّ ليس مجرد عباده - بالمعنى المتعارف - بل عمل مشابه للجهاد فى الآثار والأهداف، أى أنّه عباده وعمل سياسى، فهو موسم للعمل السياسى كما هو موسم للعباده والضراعه والتوجه إلى الله بالتعبّد.

١- مسند أحمد بن حنبل: ٢٩٤ / ٦ و ٣٠٣ و ٣١٤.

٢- مسند أحمد: ٧١ / ٦.

٣- سنن ابن ماجه، المناسك: ٩٦٦ / ٢ برقم ٢٨٩٢.

ثمَّ إنّ السيره تحدّثنا بأنّ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم خطب في موضعين: عرفه في سنن الترمذى: عن جابر في باب حجّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: لمّا كان يوم الترويه وتوجّهوا إلى منى أهلوا بالحجّ، و منى و أعلن في خطبتيه عن مواقف وأحكام اقتصاديه وسياسيه واجتماعيه إسلاميه هامّه نذكر هنا مقاطع منها:

١. إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا.

٢. ألا وإنّ كلّ شيء من أمر الجاهليه موضوع تحت قدميّ هاتين.

٣. ودماء الجاهليه موضوع وأوّل دم أضعه دم ربيعه بن الحارث- وكان مسترضعاً في بنى سعد فقتلته هذيل-.

٤. وربا الجاهليه موضوع، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله.
٥. إن كل مسلم أخو المسلم، وإن المسلم إخوانه، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا أعطاه عن طيب نفسه منه.
٦. ثلاث لا يُغَلَّ عليهنَّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة الحق، وال لزوم لجماعه المؤمنين.
٧. الناس في الإسلام سواء، لا فضل لعربي على عجمي إلا بتقوى الله.
٨. إن المسلم أخو المسلم لا يغشّه ولا يخونه ولا يغتابه، ولا يحلّ له دمه ولا شيء منه إلا بطيبه نفسه.
٩. لا ترجعوا بعدى كفّاراً مضلّين، يملك بعضكم رقاب بعض.
١٠. إنكم مسؤولون فليبلغ الشاهد منكم الغائب.
- ثم استشهدهم على ما بلغ فشهدوا له بذلك. (١)

١- وقد وردت هاتان الخطبتان اللتان دمجناهما هنا في صحيح مسلم في حديث حجّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وفي سنن أبي داود، وسيره ابن هشام وغيرها.

ولعلّ ما جاء وصحّ عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من الأدعية والأذكار في الحجّ - تلك التي تتضمّن معانٍ سياسيه إلى جانب معانيها التوحيديه - خير شاهد على أنّ الحجّ موسم مناسب لأن يظهر فيه المسلمون موقفهم من أعداء الله والإسلام خاصّه وإذا عرفنا أنّه يستحبّ ترديد هذه الأدعية ضمن مناسك الحجّ مثل الدعاء التالي:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو على كلّ شيء قدير». «لا إله إلا الله وحده وحده، أنجز وعده، ونصّر عبده، وهزم الأحزاب وحده». (١) هذا مضافاً إلى ما في مناسك الحجّ من رمزيه، فكلّ منسك من هذه المناسك يرمز إلى شيء اجتماعي وسياسي وأخلاقي مضافاً إلى كونها عبادةً وانقياداً وإن لم يمكن الوقوف الكامل على كلّ ما تنطوي عليه هذه المناسك من معانٍ.

١- سنن أبي داود: ٢/٢١٣، المناسك، سنن الترمذي: ٢/٢١٣ الحج.

وقد أشار كثير من علماء الإسلام والمفكرين الإسلاميين إلى ما ترمز إليه هذه المناسك من أمور معنويه واقتصاديّه واجتماعيه وسياسيه نحيل القارئ الكريم إليها رعايه للاختصار.

هذا مضافاً إلى أنّ هناك ما يدلّ على أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مزج الأعمال العباديه بالأهداف والممارسات السياسيّه في الحجّ.

ففي البخارى عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال:

«لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِعَامِهِ الَّذِي اسْتَأْمَنَ فِيهِ قَالَ: ارْمَلُوا- لِيُرَى الْمُشْرِكِينَ قَوْتَهُمْ-» (١) قال ابن الأثير في النهاية:

أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِرَمَلِ الطَّوَافِ أَصْحَابَهُ فِي عَمْرِهِ الْقَضَاءِ لِيُرَى الْمُشْرِكِينَ قَوْتَهُمْ حَيْثُ قَالُوا: وَهَتْتَهُمْ حَمَى يَثْرِبَ وَهُوَ مَسْنُونٌ فِي بَعْضِ الْأَطْوَافِ دُونَ بَعْضٍ.

١- صحيح البخارى: ٥ / ١٨١، باب عمره القضاء.

ولمّا استقرّ أمر الإسلام واستتب قال عمر: فيم الرّمْلان- أى الطواف بتلك الكيفيه- أو الكشف عن المناكب وقد أطأ الله الإسلام ونفى الكفر وأهله...».

وهذا يشير إلى أنّه يجوز أن يضمّ الحاج إلى مناسكه مقاصد سياسيه وأغراض جهاديه مثل إرهاب الأعداء واستنكار أعمالهم، وشجب مؤامراتهم وفضح خططهم.

ثمّ ألا يدلّ اختيار الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم لسورتي التوحيد (قل هو الله أحد) والكافرون (قل يا أيها الكافرون) فى صلاه الطواف (1) واستحباب قراءتهما للمسلم الحاج، والحال أنّ هناك سوراً أخرى أو آيات أخرى قد تحتوى على معان وأبعاد أخلاقيه وتربويه أكثر، ويشهد على أنّ الحجّ هذا المشهد الإسلامى العالمى، وهذا المجمع العام خير وقت لإعلان الموقف السياسى الصارخ ضدّ قوى الكفر والاستكبار، كما ويوحى بذلك أنّ عمر بن الخطّاب كان يقول إذا كبر واستلم

١- راجع صحيح مسلم: ٤٠ / ٤ كتاب الحجّ باب حجّه النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم.

«بسم الله والله أكبر على ما هداانا، لا إله إلا الله، لا شريك له، آمنت بالله وكفرت بالطاغوت». (١) ثم إن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال فى بيان فلسفه الحجّ ضمن ما قال:

«إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق لا لعلّه إلاّ أنّه شاء ففعل فخلقهم إلى وقت مؤجّل، أمرهم ونهاهم ما يكون من أمر الطاعة فى الدين ومصالحتهم من أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من المشرق إلى المغرب ليتعارفوا... ولتعرف آثار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتعرف أخباره ولا- تُنسى، ولو كان كلّ قوم إنّما يتكلون على بلادهم وما فيها هلكوا وخرت البلاد وسقط الجلب والأرباح، وعميت الأخبار ولم يقفوا على ذلك، فذلك علّه الحجّ». (٢)

١- تاريخ مكّه: ١/ ٣٣٩ طبعه مكّه المكرمه عام ١٣٨٥ هـ

٢- بحار الأنوار: ٣٣/ ٩٩ عن علل الشرائع للصدوق.

وعنه عليه السّلام أنّه قال أيضاً:

«ما من بقعه أحبّ إلى الله من المسعى، لأنّه يذلّ فيه كلّ جبار». (١)

٥- أبعاد الحجّ الاجتماعيه والسياسيه فى سيرها لسلف

إنّ التاريخ يحدّثنا أنّ السلف الصالح لم يقتصر فى الحجّ على المناسك والعباده بل استغلّوا هذه المناسبه للعمل السياسى كجزء طبيعى من هذه الفريضة لا كشىء زائد عليها أو أجنبى عنها.

فها هو الإمام الحسين بن على سبط الرسول وحفيده- صلوات الله عليهم أجمعين- يحتجّ على حاكم جائر من حكام زمانه فى منى أيام الحجّ.

فقد جمع عليه السّلام بنى هاشم ورجالهم ونساءهم ومواليهم من حجّ منهم ومن لم يحجّ ومن الأنصار من يعرفونه وأهل

الحجّ موسم عبادى وملتقى سياسى،

بيته، ثم لم يدع أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن أبنائهم والتابعين ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلّا جمعهم، فاجتمع عليه بمنى أكثر من ألف رجل، والحسين عليه السلام فى سرادقه، عامتهم التابعون وأبناء الصحابه، فقام الحسين عليه السلام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أمّيا بعد، فإنّ هذا الطاغية قد صنع بنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإنى أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدّقونى، وإن كذبت فكذبونى، اسمعوا مقالتي واكتموا قولى ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمتموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون فإننى أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون».^(١) فما ترك الحسين شيئاً أنزل الله فيهم من القرآن إلّا

الحج موسم عبادى وملتقى سياسى،

١- الاحتجاج للطبرسى: ٢/ ٨٧-٨٨؛ كتاب سليم بن قيس: ١٨٣.

قاله ... وقال:

«أُنشِدْكُمْ بِاللَّهِ إِلَّا رَجَعْتُمْ وَحَدَّثْتُمْ بِهِ مِنْ تَثْقُون بِهِ».

ثم نزل وتفترق الناس على ذلك.

وها هو عثمان بن عفان يكتب إلى جميع الأمصار الإسلامية أيام خلافته كتاباً قال فيه:

«إِنِّي آخِذٌ عُمَّالِي - أَي وَلَايَتِي - بِمُؤَافَاتِي فِي كُلِّ مَوْسِمٍ - أَي مَوْسِمِ الْحَجِّ - وَقَدْ سَلَّطْتُ الْأُمَّةَ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَا يُرْفَعُ عَلَيَّ شَيْءٌ وَلَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ عُمَّالِي إِلَّا أُعْطِيَتْهُ، وَلَيْسَ لِي وَلَا لِعُمَّالِي حَقٌّ قَبْلَ الرَّعِيَةِ إِلَّا مَتْرُوكٌ لَهُمْ، وَقَدْ رَفَعَ إِلَيَّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَنَّ أَقْوَامًا يَشْتُمُونَ وَيَضْرِبُونَ فَمَنْ ادَّعَى شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فليُؤَافِ الْمَوْسِمَ - أَي فليَأْتِ إِلَى الْحَجِّ - يَأْخُذُ حَقَّهُ حَيْثُ كَانَ مَنْى أَوْ مِنْ عُمَّالِي، أَوْ تَصَدَّقُوا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ».^(١) بل ووجد غير المسلمين فرصتهم في الحج ليعرضوا على

١- راجع العباده في الإسلام: للدكتور يوسف القرضاوى.

الخليفة شكواهم، فيقوم الخليفة بإنصافهم في زمن الحجّ لا- بعدئذٍ، فكلّنا يعلم قصّه ابن القبطي الّذي سبق ابن والى مصر وفتحها عمرو بن العاص فسبق القبطي فضربه ابن عمرو، فأنهى أبوه مظلمته إلى عمر فاقتصّ منه في موسم الحجّ على مرأى ومسمع من أُلوف الحجّيج، ثم قال للوالى عمرو بن العاص كلمته أمام شهود المؤتمر الكبير:

«يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً». (١) وقد جاء في كتب الفريقين: أنّ هشام بن عبد الملك حجّ في خلافه أبيه وطاف بالبيت فأراد استلام الحجر فلم يقدر عليه من الزحام، فنصب له منبر فجلس عليه إذ أقبل علىّ بن الحسين عليمها السّلام وعليه أزار ورداء، من أحسن النّاس وجهاً وأطيبهم رائحة وبين عينيه سجاده كأنّها ركة عنز،

١- راجع المصدر السابق، وكذلك كتاب «ماذا خسر العالم الإسلامي» لأبي الحسن الندوى نقلًا عن تاريخ ابن الجوزى.

فجعل يطوف بالبيت فإذا بلغ الحجر تنحى عنه النَّاس حتَّى يستلمه هيبه له وإجلالاً، فغاض ذلك هشاماً فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة وأفرجوا له عن الحجر؟ فقال هشام: لا أعرفه، لئلا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق- و كان حاضراً-: لكنني أعرفه، فقال الشامى: من هو يا أبا فراس؟ فأنشأ قصيده نذكر بعض أبياتها هنا:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

هذا ابن خير عباد الله كلهم

هذا الذي أحمد المختار والده

والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ

هذا التقى النقى الطاهر العلمُ

صلّى عليه إلهى ماجرى القلمُ

الحج موسم عبادى و ملتقى سياسى،

إلى أن قال:

فجده في قريش في أرومتها

بدر له شاهد والشعب من أحد

وخبير وحنين يشهدان له

محمد وعلّي بعده علم

والخندقان ويوم الفتح قد علموا

وفي قريظه يوم صيلم قتم^(١) وقد نقلت هذه القضية في كثير من الكتب التاريخيه والأدبيه لاحظ البيان والتبيين والعقد الفر وهكذا نجد هذا الشاعر الإسلامى الكبير يجابه ذلك الخليفه الجائر بهذه القصيده الحماسيه ويعرف بالإمام الحق من آل الرسول فى مواجهه سياسيه حاميه، الأمر الذى يدل على شرعيه هذا العمل فى موسم الحج وجوازه لعدم إنكار أحد من المسلمين عليه، لا آنذاك ولا بعدئذ.

١- الأغانى: ٢١/ ٣٧٦ طبعه بيروت، و مناقب ابن شهر اشوب: ١٦٩ /٤

وبعبارة أخرى: إنّه يستغلّ تلك المناظره السياسيه القويه ليعرّف الإمام أمام جموع الحجيج الوافده إلى بيت الله الحرام، باعتباره وارثاً محققاً لآل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وهذه الحادته تعطينا الدليل الناصع على أنّ العمل السياسى فى موسم الحجّ يعتبر قانونياً وشرعياً، وذلك لأنّه لم يتمّ منع أو تحريم أداء مثل هذه الممارسات سواء فى تلك الأيام أو الأعوام التى أعقبت ذلك.

ويجدر هنا أن نشير إلى ما كتبه الكاتب الإسلامى المعاصر فضيله الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه القيم «العباده فى الإسلام» فى هذا الصدد:

«عرف الخلفاء قيمه هذا الموسم العالمى، فجعلوا منه ساحه لقاء بينهم وبين أبناء الشعب القادمين من كلّ فجّ عميق، وبينهم وبين ولائهم فى الأقاليم، فمن كانت له من الناس مَظلمه أو شكايه فليتقدّم بها إلى الخليفه ذاته بلا وساطه ولا حجاب، وهناك يواجه الشعبُ الوالى أمام الخليفه بلا تهيبّ ولا تحفّظ، فيغاث الملهوف وينصف المظلوم ويردّ

الحقّ إلى أهله، ولو كان هذا الحقّ عند الوالى أو الخليفه». (١) فإذا كان الحجّ موسماً لبيان الظلمات والشكاوى من الحكّام والولاه المسلمين، أفلا يكون من الأولى أن يجوز فيه الشكوى من الاستعمار وأذنا به وعملائه، واستنصار المسلمين عليهم؟ وهل يجوز أن نشكو الوالى إذا تعدّى حدوده، ولا يجوز أن نشكو المستعمر الظالم والأجنبيّ الغازى وهو يرتكب كلّ تلك الجرائم والمجازر؟

٦- أبعاد الحجّ السياسي والاجتماعي في كلمات العلماء

لقد كتب العلماء والمفكرون الإسلاميون الكثير عن أهمية الحجّ سياسياً واجتماعياً واعتبروه خير موسم وأفضل فرصه للمسلمين للتعبير عن قوتهم وشوكتهم، ويقظتهم ووحدهم بالقول والعمل بالشعار والشعور.

فها هو العلامه محمد فريد وجدى يكتب في دائره معارفه، مادّه «حج» قائلاً:

«أما حكمه فرض الحجّ على المسلمين، فمما لا يتسع لبيانه مثل هذا المؤلف ومما يتبادر إلى الذهن من أمر الحجّ أنّ

أصحاب السلطه فى المسلمين لو أرادوا أن يستخدموه فى إحداث الوحده الإسلاميه لنجحوا، فإنّ اجتماع عشرات الألوف من الوفود فى صعيد واحد من سائر أقطار الأرض واتجاه قلوبهم وآذانهم فى ذلك الموقف المهيب لكلّ ما يلقى إليهم، يستوجب أن يتأثر الكلّ بروح واحده لا سيّما إذا دعوا إلى ما فيه خيرهم، فإذا رجعوا إلى أقطارهم وتشعبوا فى قراهم وأمصارهم أذاعوا ما تعلموه بين إخوانهم وكانوا لهم كأعضاء مؤتمر عامّ شكّل من جميع الأجناس والأجيال يجتمع أعضاؤه فى كلّ عام مرّه. فأى أثر تقدّره لذلك الحادث الجليل فى حياه هذه الأممه الضخمه، وأى نتائج جليله ترجوها منه إذا ساعد نهوض هذه الأممه من رقدتها، فسيكون الحجّ من أكبر عواملها ولا يسبقن إلى فكرك أنّ الأممه الأجنبيه المحتلّه لبعض بلاد المسلمين، تمنع رعاياها عن الحجّ إذ ذاك، فإنّ حركه الحياه لو دبّت فى الأممه فلا يستطيع أن يوقفها شىء ولله الأمر من قبل و من بعد». (١)

وجاء في كتاب «الدين والحجّ على المذاهب الأربعة»:

«الحجّ سبيل التعارف والتآلف والتعداد وتوثيق العلاقات والروابط والصلوات بين سائر الشعوب الإسلاميه فتألف قلوبهم وتتحّد كلمتهم فيعملون ما يصلح شأنهم ويقوم ما اعوجّج من أمرهم».

وكتب الأستاذ محمّد المبارك المستشار في جامعه الملك عبد العزيز يقول:

«والتجرّد لمعنى العباده الخالصه واضح في الحجّ بالإضافة إلى المعنى الاجتماعى الرائع، فهو مؤتمر عالمى يجتمع المشتركون فيه على صعيد واحد لعباده إله واحد، ومع ذلك فإنّ هذه العباده المتجرّده الخالصه ليست منعزله عن الحياه بل متصله بها، إذ يقولُ الله تعالى في كتابه الكريم: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ) فشهود منافعهم معنى عام يمكن أن يشمل مختلف مصالح المسلمين».

فإذا كان العمل السياسى يجوز فى الحجّ - كما عرفت من الكتاب والسنة وسيره السلف وأقوال العلماء الأجلّاء، بل أنّ الحجّ فرصه مناسبه لتخويف الأعداء وإرهابهم وشجب مؤامراتهم - فأىّ عدوّ أعدى علينا من الولايات المتحده التى تت أمر ضدّ الإسلام والمسلمين على الدوام وتنهب خيراتهم وتسرق بترولهم؟

وأىّ عدوّ أعدى علينا من إسرائيل التى اغتصبت أرضنا وشرّدت شعبنا وقتلت ولا تزال تقتل أبناء فلسطين وتستبيح دماءهم وأعراضهم؟

وأىّ عدوّ أعدى علينا من روسيا التى تعادى الإسلام والمسلمين فى العقيدة وفى كلّ شىء و التى قد مارست القتل العام بحقّ مسلمى أفغانستان والشيشان، وتدافع عن الصرب الجناه فى تطهيرهم العرقى للمسلمين البوسنيين.

وأىّ عدوّ أعدى علينا من بريطانيا التى أوجدت الدوله اللقيطه إسرائيل وت أمرت ولا تزال تت أمر ضدّنا فى حقد صليبيّ عريق؟

وأى عدو أعدى علينا من فرنسا التي قتلت مئات الآلاف من شعبنا المسلم في الجزائر ولا تزال لها مجازر ومؤامرات هنا وهناك في بلاد المسلمين؟

ولماذا نفرق بين الولايات المتحدة وروسيا وكلهم مله واحده في الكفر بديننا والت أمر البغيض علينا وقتل شعوبنا وسرقه ثرواتنا؟

ولماذا نترك فرصه الحج العظيمه والاجتماع المليونى الفريد من نوعه والمذى تكون من ٤٠ قطراً إسلامياً، يذهب أدراج الرياح دون أن نستثمره لإيقاظ المسلمين وإيقافهم على جرائم الغرب والشرق ضدنا، وهل نحن عارفون بأحكام الحج أكثر من النبى صلى الله عليه وآله وسلم والسلف الصالح من بعده الذين كانوا يخلطون فى الحج بين العباده والعمل السياسى؟

ولماذا لانفسح المجال فى مكه والمدينه وعرفات ومنى لمظلومى فلسطين والفليبين والعراق وإيران وأفغانستان وأفريقيا ولبنان واريتريا وغيرها لبيئنا ظلامتهم ويوقفوا المسلمين على ما يلاقونه من ظلم وحيف وقتل وجنايه

الاستعمار وأذنبه وعملائه؟

لماذا لا نفسح المجال في مكه والمدينه لأن تقام مؤتمرات وندوات لإيقاف المسلمين على حقيقه الاستعمار الأمريكى والروسى والبريطانى والفرنسى وخططهم الجهنميه، ويطلعوهم على ما يفعله هؤلاء الغزاه الأجانب من نهب وسلب وقتل واستغلال؟

إلى متى يعطل الحجّ من آثاره الاجتماعيه والسياسيه نزولاً عند رغبه الأجانب؟

وإلى متى يجتمع هذا العدد الهائل من المسلمين من كلّ أنحاء العالم ثمّ ينفصّ دون أن يتعرّف الأخ على أخيه ودون أن يقف الأخ على آلام أخيه وآماله؟

وإلى متى نخسر هذه الفرصه العظيمه الّتي هيّأها الإسلام لهذه الأمّه؟

وإذا فاتنا الحجّ فأين يمكن الحصول على مثل هذا الجمع الحاشد والعدد الهائل، وهذه الجماهير المؤمنه المهّيّاه للعمل والتجاوب مع أىّ نداء إسلامى يطلبهم للجهاد

ويستحثّهم على النهوض؟

وكيف تسمح السلطه فى الحجاز أن تهدر هذه الفرصه العظمى، ويحرم المسلمون من الانتفاع بها كما أمر الله سبحانه: (ليشهدوا منافع لهم)؟

بل و كيف يسمح المسلمون لأنفسهم أن يتركوا فرصه الحجاج تذهب هدرًا دون أن يستثمروها فى سبيل قضاياهم الملحه وحلّ مشكلاتهم؟

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

